(( **دلني على السوق** ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

لما قدم عبدالرحمن بن عوف مهاجراً من مكة إلى المدينة آخى رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع ، فقدّم سعدٌ لأخيه عبدالرحمن عرضاً ماليّاً سخيّاً فقال : قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالا فأقسم لك نصف مالي ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها.

فقال عبدالرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم ؟ دلني على السوق.

فدلّه على سوق بني قينقاع حيث رأس مال اليهود، والدخول في صفقة تجارية مع اليهود، كالدخول في غابة مليئة بالسباع .

فغدا عبدالرحمن بن عوف إلى السوق بحنكه وذكائه ، وتوكّل على الله ، فباع واشترى وربح وجاء بشيء من سمن وأقط ، ثم تابع الغدو إلى السوق يجمع المال شيئاً فشيئاً حتى لقيه النبي يوماً في إحدى سكك المدينة فنظر إليه رسول الله فرابه أمره .

لقد رأى رسول الله في هيئة عبدالرحمن بن عوف تغيراً .

رأى فيه أثر الصفرة وبشاشة العرس .

فَقَالَ: «مَهْيَمْ؟»

قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «مَا أَصْدَقْتَهَا؟»

قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»

لقد باع عبدالرحمن بن عوف واشترى وضارب بماله حتى تزوج بحرّ ماله فلم يكن محتاجاً لجمعية خيرية ، ولا إلى صدقة محسن ، ولكن الله تعالى أغناه من فضله حتى تزوّج بوزن نواة من ذهب بقرابة ربع دينار وتكرماً ضع هذا الرقم في ذهنك ربع دينار .

ومضى عبدالرحمن بن عوف يصافق بالمال بذكائه وتجارة وتوكّل على الله حتى دعا رسول الله يوماً أصحابه للصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف يتصدّق بشطر ماله ، فكم كان هذا الشطر من المال ؟

كان أربعة آلاف درهم ، ثم تَصَعَّدَ عبدالرحمن بن عوف في تجارته وبيعه وشرائه ، فلمّا دعي للصدقة أقبل عبدالرحمن يتصدق بطيب نفس فكانت صدقته بأربعين ألف درهم ، ثم فاضت أمواله فنمّاها وزكّاها حتى تصدّق يوماً بأربعين ألف دينار .

تضج المدينة يوماً برجفة شديدة فقيل ما هذا ؟

قيل سبعمائة راحلة مليئة بالزاد والمتاع قدمت للمدينة وكلها لعبدالرحمن بن عوف .

فقال عبدالرحمن : اللهم إني تصدّقت بها وما عليها في سبيلك.

وظلّ المال يربو عند عبدالرحمن بن عوف ، وهو مع ذلك على حالة جليلة من الزهد والتقوى فقد جيء له يوماً بطعام الإفطار وكان صائما فلما وضع الطعام بين يديه تحركت في نفسه شجون ومرت عليه خواطر وتذكر أياما خلت مع رسول الله تذكر أيام زويت الدنيا عنهم فتأثرت نفسه واستعبرت عيناه، فَقَالَ: " قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ، إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ - وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي - ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ - أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ .

الله يا معاشر المؤمنين ..

عبدالرحمن بن عوف الذي دخل المدينة فقيراً ، ثم غدا إلى سوق المدينة حتى أصبح من أثريائها ، وتوفي فأحصيت تركته فبلغت أكثر من ثلاثة ملايين دينار .

بدأت بربع دينار صداق ، وبأربعين ألف درهم صدقة، وبثلاثة ملايين دينار تركة .

لقد قدم هذا الصحابي الجليل بعفته وعزة نفسه .

صورة للصفق في الأسواق والعمل والجدّ في الكدح .

وكما كان عبدالرحمن بن عوف نموذجاً فريداً في السعي والكدح وطلب العيش، فكذلك كان أصحابه من فقراء المهاجرين الذين هاجروا للمدينة بعدما ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﭼ

الحشر: ٨

فدخلوا المدينة بالمئات ثم بالآلاف فارّين بدينهم ، فاستقبلت المدينة جمعهم ، فهل أحدثوا في المدينة أزمة بطالةٍ ؟

أو مشكلة تسولٍ ؟

وهم الذين دخلوا المدينة فقراء معدمين أو كانوا عبثاً وعالة على المدينة وأهلها ، كلا ... لقد وسعتهم المدينة فإذا هم يغشون الأسواق يصافقون فيها فلم يسببوا أزمة بل أحدثوا إنعاشاً تجاريّاً في مدينة رسول الله .

فإلى كل شاب ورجل موفور الصحة قد أخلدت نفسُهُ للراحة وآثر الدعة فلا يهُشُّ ولا ينُشُّ، ينتظر السماء أن تمطر ذهبا أو فضة ، يرى أن القاعد كالساعي أو خيرٌ منه ، بل ربما رأى أن السعي في طلب الرزق رجسٌ من عمل الشيطان ، وما علم المسكين أن الرزق والمال زادُ يتزود به العبد ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭼ البقرة: ١٩٧

أقول : اعلم رعاك الله أن التسول ثلمة يثلم المرء بها نفسه

يقول «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» متفق عليه .

ويقول : «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا، أَوْ فِي أَمْرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

ويقول «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الْمَسْأَلَةِ مَا مَشَى أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ يَسْأَلُهُ شَيْئًا» . رواه النسائي وحسنه الألباني .

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا

إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

لقد أصبحنا نقف دبر كل صلاة، وفي الطرق وعند الإشارات على مناظر مؤذية، ومشاهد مؤلمة يمثلها شباب متدربون ، وشيب متعلمون لفنون المسألة والتسول قد حفظوا كلمات يستعطفون بها قلوب المحسنين .

أما علم هؤلاء أن رسول الله كان يربي أصحابه على العفة وعدم سؤال الناس ، بل جعل من بنود بيعته لأصحابه الحذر من سؤال الناس ففي صحيح مسلم أن النبي قال لأصحابه : «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ . رواه مسلم .

لاَ تخضعنَّ لِمَخْلُوقٍ على طَمَعٍ

فَإِنَّ ذَلِكَ نُقْصٌ مِنْكَ فِي الدِّيــــن

لَنْ يَقْدِرَ العَبْدُ أَنْ يَعْطيِكَ خَرْدَلَةً

إلاَّ بِإِذْنِ الذِّي سَوَاكَ مِنْ طِيـــــنِ

فَلاَ تُصَاحِبْ قَوِيًّـا تستعـــزُ به

وكُنْ عَفِيفًا وعَظِّمْ حُرْمَةَ الدِّيــــــنِ

واسْتَرْزِق الله مِمَا في خَزَائنــهِ

فَإِنَّ رِزْقَكَ بَيْــنَ الكَـافِ والنُــــــونِ

فإلى كل من تحدثه نفسه أن يبدأ حياته بمشوار من التسوّل وسؤال الناس أذكره ناصحاً بأنّ الفقر والحاجة مهما كانت مرارتها فهو شيئٌ هيّن إذا قارنته بما تفقده من ماء وجهك بسؤال الناس .

فالمتسوّل يفقد عزّته ومكانته عند سؤال النّاس .

من هنا كان الصفق في الأسواق وعمل الرجل بيده لكسب المال من العبادات والقرب قال تعالى : ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ المزمل: ٢٠

فقرن المولى بل قدّم الذين يبتغون من فضل الله تعالى على الذين يجاهدون في سبيل الله ، ولذا قال عمر : ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إليّ من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري .

فكسب الرزق ، وطلب العيش شيءٌ مأمورٌ به شرعاً ، فالله جعل النهار معاشاً وقال سبحانه ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭼ الملك: ١٥

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ....

الثانية

قال بعض السلف : إنّ من الذنوب ذنوبًا لا يُكَفِّرُها إلا الهَمُّ في طلب المعيشة .

وفي أخبار عيسى عليه السلام أنه رأى رجلاً فقال : ما تصنع؟ قال : أتعبّد . قال : ومن يعولُك ؟ قال : أخي.

قال : وأين أخوك ؟

قال : في مزرعة . قال : أخوك أعبدُ لله منك.

فالمال قوام الحياة ، وزِينَتُهَا فبه تصان النفوس ، وتقضى الديون ، وتحفظ الفروج ، ويُبْتَغَى وجه الله ، يقول سعيد بن المسيب رحمه الله : لا خير فيمن لا يطلب المال ، يقضي به دينه ويصون به عرضه ، فإن مات تركه ميراثا لمن بعده .

فكم يعجب المرء من شباب ورجال يستنكف أحدهم عن بعض المهن لأنه تعوّد على الدعة والراحة ، ونشأ أن يَأْمُرَ ولا يُؤْمَر ، ويزداد عجبُك إذا رأيت كمّاً هائلاً من الوافدين يبذلون الغالي والنفيس ليصلوا إلى هذه البلاد يبتغون من فضل الله تعالى ، فإذا جاؤوا كدحوا وعملوا ليلاً ونهاراً ، ففتحوا لهم أبواباً من الرزق يتاجرون بها ويربحون ، وأبناؤنا على المدرجات والطرقات ثم يتكففون أبواب الجمعيات الخيرية وعتبات المحسنين .

ليتذكر كل شاب أن نبي الله موسى عليه السلام قد عمل عشر سنين لعفّة نفسه وتحصين فرجه .

وكان داود عليه السلام : « يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » رواه البخاري .

«وكَانَ زَكَرِيَّاُ عليه السلام نَجَّارًا» رواه مسلم .

وهذا إسحاق بن يسار يمرّ بالبزازين يبيعون الثياب فيقول لهم: «يا معشر البزازين إلزموا تجارتكم فإن أباكم إبراهيم عليه السلام كان بزّازا» يعني يبيع الثياب .

وهذا أبو الوليد الباجي ، أحد علماء الإسلام ، يرحل من الأندلس في طلب العلم إلى بغداد ، في حال من البؤس والفاقة ، فما كان منه إلا أن اختار عملا قد لا نراه مناسبا لمقامه العلمي إذ أجّر نفسه لحراسة درب بغداد في الليل ، ليستعين بأجرته على طلب العلم بالنهار .

وسفيان الثوري يقول : (( عليك بعمل الأبطال : الكسب من الحلال ، والإنفاق على العيال )) .

إنني أدعوا كل شاب قد استسلم لداء البطالة والرضا بسؤال الناس ، أدعوه إلى اقتحام عالم المال ، والزحف رويداً رويداً في كسب المال من حلّه ، فمكسبة فيها دناءة خير من مسألة الناس ، والعمل مهما كان حقيراً فهو خيرٌ والله من البطالة وسؤال الناس ، فشمّر عن ساعد الجدّ ، واضرب في الأرض ابتغاء مرضات الله ، فقد سئل نبيك : أيُّ الكسْبِ أفضلُ؟ قال: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» رواه الطبراني وصححه الألباني .

وقد رأى الفاروق قوما قابعين في ركن المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون على الله، فعلاهم عمر بِدِرَّتِهِ ونهرهم وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وإن الله يقول: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ الجمعة: ١٠